﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: 23]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا حكى عنهمُ التّضرّعَ الكاملَ والوعْدَ المؤكّدَ غايةَ التّأكيد: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بيَّن أنّهم بعد خلاصِهم ونجاتِهم من تلك البليّةِ والمحنةِ أقدَموا في الحال على البغي في الأرض بغير الحقِّ، بل أسرَعوا في نقضه غايةَ الإسراع، فقال: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾[1].

بعدَ أنْ أكَّدوا وعْدَهم غايةَ التّأكيدِ أسْرعوا في نقضِهِ غايةَ الإسراعِ

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبۡغُونَ﴾: الباءُ والغين والياء أصلان: أحدُهما طلبُ الشّيء، والثّاني جنسٌ منَ الفساد، فمنَ الأوّل: بغى الرّجلُ الخيرَ أوِ الشرَّ أي: طلبَه، ومنَ الثّاني: قولُهم بغى الجرح: إذا ترامى إلى فسادٍ[2]، والبغيُ: قصدُ الفساد، وتجاوزُ الحقّ إلى الباطل، والبغيُ: الظّلمُ، وقيل: كلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المقدار الذي هو حدُّ الشّيء بغيٌ[3].

والمعنى في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغويّ.

2) ﴿ٱلۡحَقِّۗ﴾: الحاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلّ على إحكام الشّيءِ وصحّته، فالحقّ: نقيضُ الباطل[4]، وأصلُ الحقّ: المطابقةُ والموافقةُ، وجمعُه حُقوقٌ وحِقاق، وحَقَّ الأمرُ وجبَ، ومن معاني الحقِّ: الصّدقُ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/235.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (بغي).
(3) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بغي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).

والعدلُ، والإسلامُ، وأمرُ النّبيّ ﷺ وما أتى به منَ القرآن[1]، أي كلُّ ما طابقَ ووافقَ تعاليمَ الإسلام، وهو المعنى المرادُ في الآية.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد نعمةِ الخلاصِ سارَعوا إلى بغي كان عليهم وبالُه في الدّنيا والآخرةِ

فلمّا أنْجاهمُ اللّه تعالى بقُدرته وعظَمته ورحمته منَ الكرب العظيم الذي كانوا فيه، إذا هم يُسارعون إلى الفسادِ في الأرض فسادًا شملَ أقطارَها، ويَنسون وعودَهم بالشّكرِ، ويَرتكبون البغْيَ الفاضحَ السّافرَ الذي لا يخفَى قُبحُه على أحدٍ، بما يدلُّ على أنّهم قومٌ بلغَ بهمُ اللُّؤمُ والجحودُ كلَّ مبْلغٍ، فيخاطبُهم اللّه تهديدًا ووعيدًا: يا أيّها النّاس الذين تضرّعوا في ساعات الشّدّة اعقِلوا واحذَروا واعلَموا أنّ وبالَ بغْيِكم وجزاءَه على أنفسكم لا تضرّون به أحدًا غيرَكم، وما أنتم فيه متاعٌ قليل، ولذّةٌ فانيةٌ، ثمّ تعودون إلينا يومَ الحساب، فنخبرُكم بجميع ما كسبْتُموه، ونحاسبُكم عليه، ونوفّيكم حقَّه.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### معنى الفاء في: ﴿فَلَمَّآ﴾:

(الفاء) ما بين سُرعةِ إجابةٍ منَ الله وسُرعةِ نقضٍ للوعودِ من أهل اللُّؤمِ والجحودِ

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ حرفُ عطفٍ يفيدُ التّرتيبَ والتّعقيبَ؛ فأمّا التّرتيبُ فقد رتّبَ ما بعدَه عَلَى ما قبلَه، والمعنى: أنّه بعد الشّكرِ الذي أقسموا عليه إذا أنجاهُم، إذا هم يَبغون[2]، ويُمكنُ أنْ يكون المعنى بما فسّره البيضاويُّ "فلمّا أنجاهم إجابةً لدعائِهم"[3].

وأمّا التّعقيبُ فللدّلالة على سُرعةِ الإجابة منَ اللّه سبحانه[4]، وعلى أنّهم قومٌ بلغَ بهم اللُّؤمُ والجحودُ؛ إذ سارَعوا إلى الفساد في الأرض منذ شُعورهم بالأمانِ، وهذا باجتماعِها مع إذا الفُجائيّةِ، قال

(1) الزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حق).
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3545.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/429.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.

البِقاعيّ: "ولما أبانتِ الفاء عنِ الإسراع في النّقض أكّد مُفاجأتَهم لذلك بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾"[1].

### دَلالةُ (لمّا):

(لمّا) حرفُ وجودٍ لوجودٍ؛ يترتّبُ ما بعدها منَ الجواب ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ على ما قبلها منَ الفعل الماضي لفظًا ومعنىً الذي بعد لمّا ﴿أَنجَىٰهُمْ﴾، ولذا فقد أفادتِ التّرتُّبَ والتّعليقَ في المُضيّ[2]، والمعنى أنّهم رتّبوا بغْيَهم على إنجاء الله لهم، وأوجدوه عند حصولِه، ودخولُ (الفاء) على (لمّا) ودخولُ إذا على (جواب لما) أفاد سرعةَ هذا التّرتّبِ والتّعليق؛ فلم يتأخّرْ بغيُهم عن إنجاء الله لهم، بل بنفس ما وقع الإنجاءُ وقعَ البغيُ، بما يدلّ على سوء نفوسِهم[3].

تعلّقُ بغْيِهم على إنجاء الله لهم دليلٌ على سوءِ نفوسِهم

وهناكَ من عدَّها ظرْفًا بمعنى حين، والمعنى: حين أنجاهمُ الله إذا هم يُسارعون في الفساد.

### دلالةُ دخولِ ﴿إِذَا﴾ في جواب (لمّا):

أدخلَ البيانُ القرآنيُّ ﴿إِذَا﴾ الفُجائيّةَ في جواب (لمّا) التي تدلّ على أمرين:

البغيُ مُستكنٌّ في صدورِهم إذ يَفجأون النِّعمةَ بالتّرقّي في الجُرأةِ على الله

الأوّل: البِدارُ والإسراعُ بمضمون الجملةِ في جواب (لمّا)، أي: سرعةُ تعجيلِهم بالبغْيِ في الأرض عقِبَ النّجاة، ومسارعتُهم إلى ما كانوا عليه منَ الإشراك بالله تعالى وعبادةِ غيره[4]، كأنّ البغْيَ مُستكِنٌّ في صدورهم لم تدحضْهُ الشّدّة؛ لأنّ فطرتَهم فاسدةٌ ومعدنَهم خبيثٌ، لم يتأثّر إلّا في ظاهر الأمرِ حالَ ضعفِهم، وهم قومُ لُؤمٍ وجحودٍ؛ إذ إنّهم نَسَوا ما كانوا فيه من أهوالٍ، وما أبرَموه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/100.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/35.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/35.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 6/35، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/192، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/138.

من عهودٍ وأَيمانٍ، وسارعوا إلى الفساد في الأرض، دون أنْ يردعَهم رادعٌ، أو يصدَّهم ترغيبٌ أو ترهيبٌ[1].

الثّاني: المفاجأةُ من قيامِهم بنقيضِ ما كان يَنبغي أن يكونَ منهم؛ إذ كان قَسَمُهم يوجبُ عليهم أن يكونوا بعد النّجاةِ طائِعين مدرِكين قُدرةَ اللّه وسلطانَه، وأنّه قادرٌ على ردِّهم إليه كما كان قادرًا على إغاثتِهم في كربِهم[2].

**فائدةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ: ﴿هُمْ يَبْغُونَ﴾:**

بغيُ الكافرين ثـابـتٌ دائـمٌ ومُستمرٌّ مُتجدّدٌ

عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بالجملةِ الاسميّةِ التي خبرُها فعلُ ﴿يَبْغُونَ﴾، ولم يقلْ (يبغون هم)؛ لإفادة تحقيقِ حصْرِ البغي بهم، فبغيُهم محقّقٌ مؤكّدٌ لا شكَّ فيه.

وكذلك أفادَ التّعبيرُ بالجملةِ الاسميّةِ ﴿هُمْ يَبْغُونَ﴾ الثُّبوتَ والدّوام، وأفاد خبرُها الذي جاء بصيغة المضارعِ ﴿يَبْغُونَ﴾ الاستمرارَ التّجدّديَّ؛ فبغيُهم ثابتٌ دائمٌ ومستمرٌّ متجدّدٌ.

**نُكتةُ التّعبير بـ﴿يَبْغُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:**

قـابَـلـوا نـعـمةَ الإنـجـاءِ بفسادٍ شاملٍ ومُتطوّرٍ ومـتـجـدّدٍ ومُستمرٍّ

عبّر البيانُ القرآنيُّ بمفردةِ: ﴿يَبْغُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، لاتّساع دلالتِها؛ فمادّةُ البغْيِ تعني الخروجَ عنِ الجادّة وسلوكَ طريق الفسادِ، ليشملَ كلَّ المعاصي من زنًى وخمرٍ وشركٍ، واعتداءٍ على الآحاد والجماعاتِ، والسّعي في الأرض، وليشملَ فسادَ النّفوسِ في الاعتقادِ والعملِ والتّمادي في هذا الفساد[3]، بل إنّ البغْيَ يعني التّرقّي في الفساد والانتشارِ من قولهم: بغى الجرحُ إذا ترقّى وترامَى في الفساد[4]، أي: أنّ فسادَهم بعد الإنجاء تجاوزَ ما كان عليه قبل ذلك؛ إذ "سارعوا إليه متراقين

(1) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/51.
(2) ابو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3545.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3545.
(4) السمين الحلبي، الدرّ المصون: 6/174.

في ذلك متجاوزين عمّا كانوا عليه"[1]، ولذا كان بغْيُهم من "أعلى مراتبِ الظّلم[2]؛ فبالبغي تتعطّلُ حركةُ الحياة؛ لأنّ من يقعُ عليهم ظلمُ البغي يَزهَدون في الكدّ والعملِ الشّريف الطّاهرِ، وإذا ما زهدَ النّاس في ذلك تعطّلتْ حركةُ الحياة[3].

وأمّا صيغةُ ﴿يَبْغُونَ﴾ فقد جاءت بالمضارع؛ للدّلالةِ على تجدُّدِ واستمرارِ هذا البغي الشّاملِ المنتشرِ المترقّي في الفساد[4].

**دَلالةُ مجيء ﴿فِي﴾:**

معنى ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الظرفيّةُ، والمعنى: أنّ بغْيَهم وفسادَهم تغلْغلَ في الأرض، وشملَ أقطارَها، ولم يقتصرْ على جانبٍ من جوانبِها، وفي الظرفيّةِ كذلك بيانُ تمكّنِ هذا البغْيِ في الأرض.

التّعبيرُ بالظّرفيّةِ إيذانٌ بتغلْغُلِ وانتشارِ بغْيِهم وإفسادِهم في الأرض

**معنى (أل) في: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:**

(أل) التّعريفِ في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ جنسيّةٌ استغراقيّةٌ[5]، تفيدُ العمومَ، أي أنّ فسادَهم عمَّ واستغرقَ كلَّ أنحاءِ الأرض، ولم يقتصرْ على الأرض التي يَسكنونها، وإنْ كان فسادُهم فيها أكثرَ، وشملَ كلَّ ما فيها من اعتداءٍ على الآحادِ، واقترافِ المعاصي، والسّعْيِ بين النّاس، وارتكابِ كلِّ ما يكونُ من تخريبٍ وهدمٍ للقائم[6]، ممّا يدلّ على نفوسٍ استكنّ فيها الفسادُ ولم تدْحضْهُ الشّدّةُ.

عُمومُ فسادِهم في الأرض دليلٌ على نفوسٍ استكنّ فيها البغْيُ ولم تَدحضْهُ الشّدّةُ

**فائدةُ مجيء شبْهِ الجملةِ: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:**

أطنبَ البيانُ القرآنيُّ بزيادة شبْهِ الجملةِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وكان يمكنُ أن تُحذفَ، ولكنّ الأبلغَ ذكرُها؛ لِما في هذه الزيادةِ في اللّفظ من فائدةٍ هي:

الأرضُ التي كانت أثرَ نِعمةِ نجاتِهم جعلوها مكانًا لبغْيِهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 10/5854.
(3) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 10/5855.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 9/100.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3545، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/51.

أوّلاً: التّأكيدُ على تمكّنِهم منَ النّجاة؛ لأنّ الأرض بَرٌّ أمانٍ لهم منَ البحر الهائجِ، أي بعد أنْ هدأتِ العاصفةُ، وانخفضتِ الأمواجُ، ووصلتِ السّفنُ إلى شاطئ الأمانِ[1]، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65]، فجعلوا مكانَ أثرِ نعمةِ نجاتِهم مكانًا للبغْيِ[2].

ثانيًا: الدّلالةُ على شُمول بغْيِهم لأقطارها[3].

### معنى الباء في: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾:

دَلالةُ حرفِ الباء على الإلصاقِ والاستعانةِ بيانٌ لمَدى تماديهِم في الشّرِّ والطّغيانِ

الباء في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تحملُ معنَيَيْن من أشهر معانيها: الإلصاقُ والاستعانةُ، بحيث يكونُ المعنى: إذا هم يَبغون في الأرض مُلتصِقين بالباطل والكُفرِ والطّغيانِ لا ينفكّون عنه ومُستعينين به.

وقد تكونُ (من) للتّأكيدِ إذا اعتبرْنا البغْيَ بأحد معانيه اللّغويّةِ، وهو طلبُ الشّيء، والمعنى: إذا هم يَطلبون غيرَ الحقّ.

### معنى (أل) في ﴿ٱلْحَقِّ﴾:

(أل) للجنسِ والاستغراقِ، فتشملُ كلَّ الحقوقِ

أل التّعريفِ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ جنسيّةٌ استغراقيّةٌ، تفيدُ العمومَ، والمعنى: أنّ بغْيَهم وإفسادَهم شملَ كلَّ الحقوقِ؛ حقوقِ اللّه، وحقوقِ العباد، أي كلُّ حقٍّ طابقَ ووافقَ ما جاء به الإسلامُ، فلا يزال الباغي مذمومًا حتى يكونَ على الحقِّ الكاملِ الذي لا باطلَ فيه بوجْهٍ[4].

### موقعُ شبْهِ الجملةِ: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وفائدتُها:

وصْفٌ كاشفٌ أوِ احترازٌ عنِ البغْيِ بحقٍّ

موقعُ شبْهِ الجملة: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ في الآية موقعُ الصّفةِ الكاشفةِ

(1) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/51.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/138.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 9/100.

للواقع؛ للتّذكير بقُبحِ هذا البغْيِ وسوءِ حال أهلِه[1]، وفائدةُ الإطنابِ بذكرها – وكان يمكن أن تُحذفَ – أمورٌ:

أوّلها: التّأكيدُ على ما يفيدُه البغْيُ من تجاوزِ الحقِّ والتّعدّي والظّلم، فهو بغيٌ ظاهرٌ سافرٌ لا يخفَى قُبحُه على أحدٍ[2]، أي جاءت قيدًا كاشفًا لمعنى البغْيِ؛ إذِ البغْيُ لا يكونُ بحقٍّ[3].

ثانيها: الإشارةُ إلى أنّهم فعلوا ذلك بغيرِ شُبهةٍ عندَهم، بل تمرّدًا، وعنادًا، لأنّهم قد يفعلون ذلك لشُبهةٍ يعتقدونها حقًّا مع كونِها باطلةً[4].

ثالثها: الاحترازُ به عنِ البغْيِ بحقّ، كاستيلاءِ المسلمين على الكفّار، وتخريبِ دورِهم، وإتلافِ أموالِهم، كما فعل رسولُ اللّه ﷺ بقُريظةَ[5]، وهذا على اعتبار البغْيِ هنا وَفْق أحدِ المعنيَيْن اللُّغويّين وهو طلبُ الشّيء؛ فحينئذٍ ينقسمُ إلى طلبٍ بحقٍّ، وطلبٍ بغير حقٍّ[6].

ويرى أبو السُّعود أنّ هذا القولَ لا يُساعدُه النّظمُ الكريمُ؛ لابتنائِه على كوْنِ البغْيِ بمعنى إفسادِ صورةِ الشّيء، وإبطالِ منفعتِه دون ما ذُكرَ منَ المعنى اللّائقِ بحال المفسدين[7]، وأيضًا "دفعُ البغْيِ لا يُسمّى بغيًا، وإنّما يُسمّى إنصافًا منَ الظّالم، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: 41]"[8].

**نُكتةُ الفصْلِ في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:**

خـطـابُ تنبيهٍ زاجــرٍ وتـحـذيـرٍ وتهديدٍ شديدٍ

فَصَلَ البيانُ الإلهيُّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عنِ الجملة

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/280.
(2) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/51.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/139.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 2/495.
(5) الزمخشري، الكشاف: 3/7، والصّاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 790.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 6/35.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.
(8) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/51.

قبلَها ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ ولم يربطْ بينَهما؛ لِما بين الجُملتَين من كمالِ الانقطاع؛ لاختلافِهما خبرًا وإنشاءً، فالجملةُ الأولى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾خبريّةٌ، والثّانيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إنشائيّةٌ، ولهذا تعيّن الفصلُ بينهما.

وقد جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابًا للمشركين، وهمُ الذين يبغون في الأرض بغير الحقّ[1]، تعقيبًا على سرعةِ بغْيِهم بما يحملُ التّنبيهَ الزّاجرَ، والمبالغةَ في التّهديد، وبيانَ سوء العاقبةِ.

**فائدةُ النّداءِ بـ(يا) في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:**

نادى اللّه الباغين بأداةِ النّداء التي تُستعملُ للمنادَى البعيدِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، إشارةً إلى بُعْدِهم عنِ الرّحمة والتّوفيق والهدايةِ، وتشديدِ التّهديد والمبالغةِ في الوعيد[2]، وعليهم أنْ يُصْغوا لِما يُنادَى به عليهم.

النّداءُ بالبعيدِ إشارةٌ إلى التّبعيدِ ومبالغةٌ في التّهديدِ والوعيدِ

**معنى (أيّ) في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:**

(أيّ) وصلةٌ إلى نداء ما فيه أل؛ لأنّ (يا) لا تدخلُ عليها في غير يا اللّه إلّا شُذوذًا، وهي نكرةٌ مقصودةٌ، تفيدُ هنا التّدرّجَ منَ الإبهام إلى التّوضيح.

النّفسُ تَتشوّقُ لمعرفةِ ما فيه إبهامٌ

**معنى الهاء في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:**

(ها) حرفُ تنبيهٍ، وهي لازمةٌ لأيّ، ويفصلُ بها بين (أيّ) في النّداء وبين المنادَى المرفوعِ بعدَه، وهي عِوضٌ عنِ الإضافة في (أيّ)، وتفيدُ هنا المشاركةَ مع (يا) و(أي) في التّنبيهِ، والتّأكيدِ على أهميّة المنادَى به.

دَلالةُ (الهاء) في (يا أيُّها) على التّنبيه إلى أهميّةِ المنادَى به

**معنى(أل) في: ﴿ٱلنَّاسُ﴾:**

أل التّعريفِ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عهديّةٌ، معهودُها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/139.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.

حُضوريٌّ ذِكْريٌّ، أي الخطابُ للذين أنجاهُمُ اللّه وبغَوا، والمعنى: (يا أيّها النّاسُ الجاحدون لإنعامِ اللّه عليكم النّاقضون لِما عاهدتُم ربَّكم عليه)، أو أنْ يكونَ معهودُها ذهنيًّا، أي الخطابُ لأهل مكّة، وهذا ما عليه جمهورُ المفسّرين، ويحتملُ أنْ تكونَ أل جنسيّةً تفيدُ العمومَ، ويدخلُ فيها أهلُ مكّةَ، والذين أنجاهُمُ اللّه وبغَوا[1].

دَلالـــةُ أل في (الـنّـاس) بين الـعـهْـديّـة والعُمومِ

### مَظاهرُ التّوكيدِ في هذا النّداءِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:

افتتح البيانُ القرآنيُّ الخطابَ بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهي جملةٌ إنشائيّةٌ طلَبيّةٌ؛ نداءٌ يفيدُ تنبيهَ المنادَى إلى أمرٍ عظيمٍ يجدرُ به أن يكون على وعْيٍ به، وأخْذٍ بما فيه، ويحملُ أوجُهًا منَ التّوكيد، وأسبابًا منَ المبالغة، يحتاجُها المقامُ؛ منها ما في (يا) منَ التّأكيدِ والتّنبيه، وما في (ها) منَ التّنبيه، وما في (أيُّ) منَ التّدرّجِ منَ الإبهام إلى التّوضيحِ، ثم كان هذا النّداءُ للنّاس بما يحملُه منَ التّأكيدِ والمبالغةِ.

عِـظـمُ جُـرمِـهـم وسـوءُ عاقبتِهم استدْعَيا كمالَ التّنبيهِ الزّاجرِ

وذلك كلُّه لاستصغاءِ أسماعِهم، والإشارةِ إلى فظاعةِ جُرمِهم، وهو الشّركُ باللّه، وإلى تعظيمِ الخبرِ الذي يحملُه هذا النّداءُ، واستثارةِ بواطنِهم وتحريكِ مشاعرِهم؛ للامتناعِ عن هذا البغْيِ في الأرض، إذ إنّه نداءٌ منَ الخالق إلى خلْقِه، وهذا وحدَه فيه فيضٌ منَ التّنبيه إلى أنّهم في علْمِه قائمون، وتحت قهْرِه نازلون، ومقصودُ هذا التّنبيهِ الزّاجرِ تحذيرُهم، وتهديدُهم وبيانُ سوءِ عاقبتِهم[2].

### فائدةُ الالتفاتِ منَ الغيبةِ إلى الخطابِ:

في قوله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ التفات إلى مخاطبةِ الباغين بعد أنْ كان الحديث عنهم بضميرِ الغيْبةِ؛ للتّنبيهِ الشّديدِ والتّهديد بالمواجَهة والتّصَدّي لبيان شرِّهم[3]، إذِ

الـتّـهـديـدُ بالمواجَـهـةِ أشدُّ مـنَ الـتّـهـديـدِ بالغَيْبةِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/35.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/139.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3546.

التّهديدُ بالمواجَهةِ أشدُّ منَ التّهديد بالغَيْبةِ، وللإيماءِ بأنّ حالَهم لا يغيبُ عنه سبحانه.

### نُكتةُ الفصْلِ في: ﴿إِنَّمَا﴾:

قـضـيّـةٌ جـرتْ مـجـرَى المـثَـلِ تجمعُ الإعجازَ والإيجازَ

فصلَ البيانُ الإلهيُّ قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ عنِ الجُملةِ قبلَها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ولم يُربَطْ بينَهما بالواو؛ لأنَّ قولَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداءٌ، والنّداءُ يحتاجُ جملةَ جوابِ النّداء، وهي جملةٌ استئنافيّةٌ لا تحتاجُ إلى (الواو)؛ إذ هي تقرّرُ قضيّةً جرتْ مجرَى المثَلِ في القرآن يُطْلقُها الحقُّ ﷻ، وتظلُّ إلى الأبدِ، وكأنّه يُخاطبُ الباغيَ: يا من تريدُ أنْ تأخذَ حقَّ غيرك، اعلم أنّ قُصارَى ما يُعطيك أخْذُ هذا الحقِّ هو بعضٌ من متاع الدنيا[1].

### بَلاغةُ المجازِ المرسَلِ في: ﴿بَغْيُكُمْ﴾:

ذكـرُ الـسّـبـبِ وإرادةُ المسبَّبِ كـنـايـةٌ عـنِ التّهديدِ

أطلقَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وأراد الوَبالَ؛ لأنّ البغْيَ لا يقعُ على الأنفس، وإنّما هو الوبالُ، ولمّا كان البغيُ سببَ الوبالِ ذكرَه على طريق المجازِ المرسَلِ؛ والعلاقةُ سببيةٌ، فالسّببُ هو البغْيُ والمسَبَّبُ هو الوبالُ والإثمُ؛ وفي هذا كنايةٌ عن تهديدِهم، وقُبحِ فعْلِهم بأنّ بغْيَهم يرجعُ إليهم[2].

### بَلاغةُ أسلوبِ القصْرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾:

قـصـرُ قـلْـبٍ قـلـبَ عـلـيـهـم اعتقادَهم مُبيّنًا أنّ بـغْـيَـهـم لا يَضرُّ إلّا بهم

المقصورُ به ﴿إِنَّمَا﴾، والمقصورُ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ وهو الموصوفُ، والمقصورُ عليه ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، جارٌّ ومجرورٌ يحملان صفةً تدلّ على معنًى قائمٍ فيه، وهي صفةُ كوْنِ البغْيِ والاعتداءِ على أنفُس الباغين، والمقصورُ عنه (كلُّ الصّفات ما عدا صفةَ كوْنِ البغْيِ على أنفُسِ الباغين).

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 10/5856.

(2) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/431.

ونوعُ هذا القصْرِ باعتبار المقصورِ والمقصورِ عليه: قصرُ موصوفٍ على صفة؛ فقد قُصِر البغْيُ على أنفُس الباغين، ونوعُه باعتبارِ الحقيقةِ والواقعِ: قصرٌ إضافيٌّ؛ فالمقصورُ عنه هو كلُّ الصّفات ما عدا صفةَ كونِها على أنفسِهم، لكنّ الكلامَ يجري في دائرةٍ خاصّةٍ، وهي موضوعُ البغْيِ على أنفسِهم، ونوعُه باعتبار حالِ المخاطَب: الخطابُ للكافرين، والقصرُ قصرُ قَلْب؛ إذ كان الكافرون يعتقدون أنّ بغْيَهم (أي شركَهم وعبادتَهم للأصنام) يَضرّون الله به، فقلبَ عليهم اعتقادَهم مُبيّنًا لهم بهذا القصْرِ أنّ بغْيَهم أي شركَهم مُضرٌّ بهم، أي مقصودُ القصْرِ هو أنّ التّحذيرَ منَ الشّركِ هو مراعاةٌ لصالِحهم، لأنّ الله لا تنفعُه عبادةٌ ولا تضرُّه معصيةٌ[1]، ولأنّهم إنْ أشاعوا البغْيَ فيما بينهم عمَّ الفسادُ، ولم تكن جماعتُهم فاضلةً، بل جماعةً متحلّلةً متقاطعةً متدابرةً تعمُّها الرّذيلةُ ويسودُها الشّرُّ[2].

**دَلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿عَلَىٰٓ﴾:**

استعلاءٌ مَجازيٌّ مُكنًّى بـه عن إضـرارِ بغْيِهم بأنفسِهم

معنى حرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ الاستعلاءُ المجازيّ المُكنَّى به في الآية عنِ الإضرار؛ لأنّ المُستعْلِيَ الغالبَ يضرُّ بالمغلوبِ المُستعلَى عليه، ولذلك يكثرُ أنْ يقولوا: هذا الشّيء عليك، وفي ضدّه: هذا الشّيءُ لك، كقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: 46]، إذن يفيدُ حرفُ الاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ﴾ التّنبيهَ على حقيقةٍ واقعيّةٍ وموعظةٍ لهم؛ ليعلَموا أنّ التّحذير منَ الشّركِ والتّهديدَ عليه، لرعْيِ صلاحِهم لا لأنّهم يضرّونَه كقوله: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ﴾ [التوبة: 39][3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/139.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3546.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/139.

### نُكتةُ الفصْلِ في: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾:

استئنافٌ بيانيٌّ بيّن حالَ الباغين المتمتِّعين بالحياة الدّنيا

لم يذكرِ البيانُ الإلهيُّ العاطفَ بين قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وما سبقَها ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ﴾؛ لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتَين من شبْهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك بعد أنّ خاطب اللّه تعالى المشركين بقوله: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ كأنّ سائلًا سأل: ما حالُ هؤلاء؟ فجاء الجوابُ في قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، والتّقديرُ: مُتمتّعين متاعَ الحياةِ الدّنيا[1]، وهذا على قراءة نصْب ﴿مَّتَٰعَ﴾، وأمّا على قراءة الرّفع (متاعُ)، فيكونُ تقديرُ السّؤال: كيف يكونُ بغْيُهم على أنفسهم؟ فجاء الجوابُ: (متاعُ الحياةِ الدّنيا)، والتّقديرُ: بغْيُكم على أنفسكم متاعُ الحياةِ الدنيا.

### بَلاغةُ تَوجيهِ القراءاتِ في: ﴿مَّتَٰعَ﴾:

جميعُ أوجُهِ الإعرابِ تقرّرُ أنّ متاعَ الحياةِ الدّنيا زائلٌ لا بقاءَ له

معلومٌ في علومِ القرآنِ أنّ تعدُّدَ القراءاتِ بمنزلةِ تعدُّدِ الآيات[2]، وقدِ اعتنى بها المفسّرون من خلال التّوجيهِ النّحويِّ والبلاغيِّ للقراءات، ومنها ما وردَ في ﴿مَّتَٰعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾؛ إذ قُرئَ بالنّصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ وبالرّفع (متاعُ)[3]، فإذا رُفعت (متاعُ)، كان المتاعُ خبرًا للمبتدأ الذي هو ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾، وكانت ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ صلتَه، ومعناه: إنّما بغيُ بعضِكم على بعض منفعةُ الحياةِ الدنيا، ولا يصلحُ زادًا لمعادِكم؛ لأنّكم تَستوجبون به غضبَ اللّه، ويجوزُ أنْ يكونَ الرّفعُ على معنى: هو متاعُ الحياة الدنيا، بعد تمام الكلام، وإذا نُصبت ﴿مَّتَٰعَ﴾ فيكونُ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ خبرًا للمبتدأ ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾، والمعنى: إنّما بغْيُكم وبالٌ على أنفسِكم، و﴿مَّتَٰعَ﴾ في موضع المصدرِ المؤكِّدِ؛ إمّا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.

(2) السيوطي، الإكليل: ص 109.

(3) روى حفص بنصب العين، وقرأ الباقون برفعها، يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/283.

لفعلٍ مقدّرٍ بطريق الاستئناف، أي: بغيُكم على أنفسِكم تتمتّعون متاعَ الحياةِ الدنيا، وقيل: على أنّه مصدرٌ وقعَ موقعَ الحال، أي بغيُكم على أنفسِكم مُتمتّعين بالحياةِ الدّنيا[1]، وقيل: هو مفعولٌ لأجله، والمعنى: بغْيُكم على أنفسِكم لأجلِ متاعِ الحياةِ الدُّنيا، أي غايةُ ما تُؤمّلون ببغْيِكم، وشرودِكم عنِ الإخلاص للّه أنْ تَنالوا شيئًا من حطامِ الدّنيا.

وفي هذا التّوجيه للقراءتين إشارةٌ إلى أنّ جميعَ أوجُهِ الإعراب عنِ المعنى تُقرّرُ أنّ الإمهالَ على البغْيِ هو مدّةُ الحياةِ الدّنيا، وأنّ متاعَها زائلٌ لا بقاءَ له، ولكن يوجدُ بلاغةٌ خاصّةٌ بكلّ قراءةٍ؛ فعلى قراءة الرّفعِ واعتبارِ (المتاع) خبرًا تكونُ "محطُّ فائدة الخبر إفادةَ كوْنِ البغْيِ المَذْكور متاعًا سريعَ الزّوال وسوءَ المآل"[2]، وفيه مبالغةٌ بإشعار ظهورِه بالتأمّلِ اليسيرِ[3]، وعلى قراءة النّصبِ تكونُ الفائدةُ هي التّأكيدُ بالمصدريّةِ، أوِ المفعوليّةِ.

وفي ذلك كلِّه ثراءٌ للمعنى، وتحقيقُ بلاغةِ الوفاءِ بالمعنى مع الإيجاز في اللفظ.

**نُكتةُ الإضافةِ في: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:**

أضافَ البيانُ الإلهيُّ المتاعَ إلى الحياةِ الدّنيا إشارةً إلى أنَّ منفعةَ الحياةِ الدّنيا زائلةٌ لا تبقَى؛ لأنّ المتاعَ يُطلقُ على ما لا بقاءَ له أي عدمُ البقاء مُستفادٌ من كلمة المتاع، والمعنى أنّ غايةَ ما تُؤمّلون ببغْيِكم وشرودِكم عنِ الإخلاص للّه أن تَنالوا شيئًا من حُطام الدّنيا الزّائلِ؛ ولذا سمّى القرآنُ متاعَ الحياةِ الدّنيا عَرَضًا، قال تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: 169]؛ لأنّه عارضٌ زائلٌ

**متاعُ الدّنيا بطريق البغْيِ قليلٌ سريعُ الزّوالِ وشيكُ الاضمحلالِ**

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/7، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/135.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/431.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/431.

غيرُ ثابت، وكلُّ شيءٍ يقلُّ لُبْثُهُ يُسمّى عرَضًا، وفي الحديث: «الدّنيا عَرضٌ حاضرٌ، يأكلُ منها البَرّ والفاجرُ»[1].

وأمّا بقاءُ عقابِها فمعلومٌ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾، فالمرادُ منَ المتاع في الآية إمّا البغْيُ نفسُه، أوِ المنفعةُ بطَريق البغْي، أوِ الجَور، وإلّا فمتاعُ الحياةِ الدُّنْيا لا يكونُ له عقابٌ على الإطلاق، بل قد يكون لبعضِه ثوابٌ دائمٌ وأجرٌ قائمٌ[2].

### غرَضُ وصْفِ الحياةِ بـ﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

غايةُ ما يُؤمّلونَه ببغْيِهم حُطامٌ قليلٌ خسيسٌ سريعُ الانقضاءِ

وصفَ البيانُ الإلهيُّ الحياةَ بـ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ للإشارةِ إلى قِصرِ نعيمِها، وقلّتِه وسُرعةِ زوالها وانقضائِها، وكأنّها لم تكن، وما كان فيها من نعيم؛ إذ سُمّيتِ الدّنيا بهذا الاسم لدُنوِّها، وقيل: لدَناءتِها[3]، وبهذا تتميّزُ عنها الحياةُ الآخرةُ الباقيَةُ، فالدّنيا نقيضُ الآخرة، ويَكفي هذا لبيانِ نقْصِها، فهي مشتقّةٌ منَ الدُّنوّ، والأصلُ في الدُّنوّ أن يكونَ إلى سُفْلٍ، ومن هنا استُعْمِلَ الدُّنوّ في الهبوطِ المعنويِّ (قلّةِ قيمةِ الشّيء) في مثل قولِه تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، ومن هذا قالوا للخسيسِ السّاقطِ: إنّه لدَنيٌّ، من أدنياء، كما استُعْمِلَ الدّنوُّ في قلّةِ الكَمّ[4].

### معنى ﴿ثُمَّ﴾:

الرُّجوعُ إلى اللهِ للحسابِ أصرحُ تهديدًا من زوالِ منفعةِ دُنياهمُ التي يَستطيلونَها

عطفَ البيانُ الإلهيُّ ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ على ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ بحرف العطْفِ ﴿ثُمَّ﴾ الذي يفيدُ التّرتيبَ والتّراخي؛ للإشارةِ إلى استطالةِ الكافرين للحياةِ الدّنيا[5]، وسمَّى ابنُ عاشورٍ

(1) البيهقي، السنن الكبرى، باب: كيف يستحب أن تكون الخطبة؟ الحديث رقم: (5873)، من حديث شداد بن أوس، مرفوعًا، وفي إسناده ضعف وانقطاع. ويروى موقوفًا على عدد من الصحابة.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 9/431.
(3) البغوي، معالم التنزيل: 2/120.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي للمؤصل: (دنو).
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3547.

هذا العطْفَ بالتَّراخي الرُّتبيِّ؛ لأنَّ مضمونَ هذه الجملةِ أصرَحُ تَهديدًا مِن مَضمونِ جُملةِ ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[1].

كما أنّ العطفَ بالجُملةِ الاسميّةِ يفيدُ الثّباتَ، أي: الرّجوعُ إلينا للحسابِ والعقابِ أمرٌ ثابتٌ لا شكَّ فيه.

**فائدةُ تقديمِ شبْهِ الجملةِ: ﴿إِلَيْنَا﴾:**

قدّمَ القرآنُ المسندَ وهو الجارُّ والمجرورُ ﴿إِلَيْنَا﴾ على المُسنَد إليه ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ للدّلالة على الثّبات والقصْرِ[2]، وإفادةِ الاختصاص، أي: إلينا وحدَنا مآلُكم ومرجعُكم[3]؛ تنزيلًا للمخاطَبين منزلةَ من يَظنُّ أنّه يرجعُ إلى غير اللّه؛ لأنّ حالَهم في التّكذيب بآياته، والإعراضِ عن عبادته إلى عبادةِ الأصنامِ كحالِ مَن يَظنّ أنّه يُحشرُ إلى الأصنامِ، وإن كان المشركون يُنكرون البعْثَ من أصله[4].

الرّجوعُ إلى الله وحـدَه حيثُ لا وليَّ للكافرين ولا نَصيرَ

**فائدةُ الإضافةِ في: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾:**

أضاف القرآنُ مآلَهم إلى الذّات العُليا في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ لما فيها منَ التّهديد، أيَّ تهديدٍ، ومُؤدّاهُ: إنْ كنتم قد كذّبتم في قَسَمكم في الدّنيا، فحسابُكم على ذلكم عندنا في الآخرة، وهي أبقَى وأدْومُ[5].

إضافةُ رجوعِهم إلى الذّاتِ العُليا تـهـديـدٌ كـافٍ ووعيدٌ شافٍ

**غرَضُ التّعبيرِ بالمصدرِ الميميِّ: ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾:**

عبّرَ القرآنُ بالمصدرِ الميميِّ ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ دونَ المصدر القياسيّ الأصليّ (رجوعكم)، لاتّساع دلالتِه؛ فالتّعبيرُ بالمصدرِ الميميّ يتضمّنُ التّعبيرَ عن ثلاثة أمور:

المـصـدرُ الميـمـيُّ أوسـعُ دلالـةً إذ يـشـمـلُ مـكـانَ الـرجـوع وزمـنَـهُ وحدثَه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/140.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/136.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3547.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/140.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3547.

دَلالةٌ على الزّمان أي زمانِ الرّجوع إلينا، ودلالةٌ على المكان أي مكانِ الرّجوعِ إلينا، ودلالةٌ على المصدرِ القياسيِّ وهو الرّجوعُ الحقيقيُّ.

**معنى الفاءِ في: ﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾:**

الفاء حرفُ عطفٍ، عَطَفَ جملةَ (ننبئكم) على جملةِ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾، وفي هذا العطْفِ تفريعُ ﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾ على جملةِ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو تفريعُ وعيدٍ على تهديدٍ[1]؛ لأنّ ما بعْدَ الفاء أرهبُ وأخوفُ وأرقَى بالوعيدِ ممّا قبْلَها.

ما بعدَ الفاءِ التّفريعيّةِ أرهبُ وأرقَى وعيدًا ممّا قبْلَها

**معنَى الباءِ في ﴿بِمَا﴾:**

الباء في ﴿بِمَا﴾ في قوله تعالى ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للسببيّة، والمعنى: فيحاسبُكم، ويجازيكُم بسبب أعمالِكم الكثيرةِ والمستمرّةِ في البغْيِ والإفساد، كما أنّ الإلصاقَ لا ينفكُّ عنها، فهي أعمالُ بغْيٍ لا تَنفكّون عنها.

دَلالةُ حرفِ الباءِ على السّببيّةِ والإلصاقِ بيانٌ لعذلِهِ في الكافرين

**معنَى(ما) في: ﴿بِمَا﴾:**

(ما) في قوله تعالى: ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ موصولةٌ، تفيدُ العمومَ، أي عمومَ ما يعملونَه، والمعنى: فيحاسبُكم ويُجازيكم بكلِّ الذي كنتم تعملونَه منَ الإفسادِ.

حسابُ اللهِ وجزاؤُه يَعمُّ كلَّ بغْيٍ للكافرين

وفي التَّعبيرِ بما الموصولةِ إشارةٌ إلى أنّ العقابَ من جنسِ العملِ، وأنّ كلَّ عملٍ يحملُ في ذاتِه عقابَه في الآخرةِ[2].

**بَلاغةُ الكنايةِ في: ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:**

الإنباءُ في قوله تعالى: ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقتضي لوازمَ يدلُّ عليها الفكرُ وتدلُّ عليها النّصوصُ فهي كنايةٌ عنها، وهذه اللّوازمُ يدخلُ فيها الحسابُ وفصلُ القضاءِ وتنفيذُ الجزاءِ؛ فالإنباءُ يستلزمُ العلْمَ بأعمالِهم السّيئةِ؛ والقادرُ إذا علمَ بسوءِ صَنيعِ عبْدِه لا

الإنباءُ وعيدٌ بالعذابِ وإقامةُ الحُجّةِ عليهم، لا مُجرّدَ مجازاتِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/140.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3547.

يمنعُه من عقابه مانعٌ[1]، وهو وعيدٌ بالجزاء والعذابِ، كقول الرّجل لمن يتوعّدُه سأخبركُ بما فعلتَ[2]، كما أنّ في التّعبير بالإنباءِ إقامةَ الحُجّةِ عليهم لا مجرّدَ مجازاتِهم.

وفي هذه الكنايةِ كذلك نُكتةٌ خفيّةٌ مبنيّةٌ على حِكمةٍ أبيّةٍ ذكرَها أبو السّعود؛ وهي أنّ كلَّ ما يظهرُ في هذه النّشأة منَ الأعيان والأعراضِ، فإنّما يظهرُ بصورةٍ مغايرةٍ لصورتِه الحقيقيّةِ التي بها يظهرُ في النّشأة الآخرةِ، فالبغيُ في هذه النّشأةِ وإنْ برزَ بصورة تشتَهيها البُغاةُ، وتَستحسنُها الغواة؛ لتمتُّعِهم به من حيث أخذُ المالِ والتّشفّي منَ الأعداء، ونحوُ ذلك، لكنْ ذلك ليس بتمتّعٍ في الحقيقة، بل هو تضرّرٌ من حيث لا يحتسبون، وإنّما يظهرُ لهم ذلك عند إبراز ما كانوا يعملونَه منَ البغْيِ بصورةِ الحقيقةِ المضادّةِ لِما كانوا يُشاهدونَه على ذلك منَ الصّورة، وهو المرادُ بالتّنبئةِ المذكورةِ[3].

### نُكتةُ دخولِ (كان) على المضارعِ في: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

في ذكْرِ﴿كُنتُمْ﴾ والفِعْلِ المضارعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دَلالةٌ على تكرُّر عملِهم، وتَمكُّنِه منهم[4]، لأنّها جملةٌ اسميّةٌ خبرُها فعلٌ فهي تفيدُ الثّبوتَ والدّوامَ، ويفيدُ خبرُها الذي جاءَ بصيغة المضارعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ الاستمرارَ التّجدُّديَّ؛ فعملُهم في الإفسادِ ثابتٌ متمكّنٌ منهم ودائمٌ ومُتكرّرٌ.

جـــزاءُ الـلـه الـــعـــادلُ لا يُفلتُ منه بغيُ الكافرين الثابتُ المتكرّرُ

### دَلالةُ مَجيء ﴿تَعْمَلُونَ﴾ من حيث المادّةُ والصّيغةُ:

اختار البيانُ القرآنيُّ مُفردةَ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دونَ غيرِها كلفظِ (فعل) مثلًا؛ لأنّ لفظَ العملِ أخصُّ منَ الفعل فلا يكونُ إلّا بقصدٍ وعن فكْرٍ ورويّةٍ،

من كمالِ عدْلِه سُبحانه أنّـه لا يُحاسِبُ إلّا على مـا صَـــدرَ من عاقلٍ وعن قصْدٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/140.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/136.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/136.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/140.

أي لا يكونُ إلّا من عاقل، وأمّا لفظُ الفعلِ فهو عامٌّ، فقد يكونُ بقصدٍ أو بغيْرِ القصدِ، من عاقلٍ وغيرِ عاقل، بعلْمٍ أو بغيرِ علْمٍ، ولذا كان الأنسبُ في سِياقِ الحسابِ والمجازاةِ وإقامةِ الحُجّةِ على الكافرين اختيارَ لفظِ (العمل)؛ لأنّ من عدلِ اللّه أنّه لا يحُاسِبُ إلّا على ما صَدرَ من عاقلٍ وعن قصْدٍ.

وأمّا التّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾؛ لإفادةِ الاستمرارِ والتّجدّدِ، واستحضارِ الحالِ في الدّلالةِ على إصرارِهم على الاستمرارِ في البغيِ والإفسادِ، وعلى كثرة هذه الأعمالِ، وعلى تصويرِ هذه الأعمالِ بما فيها من فسادٍ، وقُبحٍ حاضرةً ماثلةً أمامهم، وفي ذلك إشارةٌ إلى عدْلِه وإقامة الحُجّةِ عليهم.

**فائدةُ حذْفِ مفعولِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾:**

حذفَ البيانُ الإلهيُّ مفعولَ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ للدّلالة على العُموم، والمعنى: أنّ اللّه سيُنَبّئهم بكلّ ما عمِلوه من أعمالٍ إراديّةٍ نفسيّةٍ كالكفرِ، والنّيّاتِ، والحسدِ، وتدبيرِ مخطّطاتِ إضلالِ عبادِ اللّه، ومقاومةِ دعوةِ الحقّ الرّبانيّةِ، ومن أعمالٍ جسديّةٍ؛ كعبادة غيرِ اللّه، وارتكابِ محرّمات القتلِ، وأكلِ أموالِ النّاس بالباطلِ، والفواحشِ، إلى غير ذلك.

الإبهامُ الحاصلُ في الحذْفِ يدلُّ على تنوّعِ أعمالِهم الخبيثةِ

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### البغيُ والاعْتداءُ والعُدوانُ والعُتوُّ والطّغيانُ والظّلمُ:

تتداخل معاني هذه الألفاظِ في اللّغة وتتقاربُ في دلالتها، وجميعُها فيها معنى مُجاوزةِ الحدِّ؛ فمعنى البغْيِ في اللّغة: الفسادُ والشّدّةُ، ثمّ أُطلقَ على التّعدّي ومُجاوزةِ الحدِّ بغيرِ حقٍّ، والظّلم[1].

والطُّغيان: مجاوزةُ الحدِّ في كلّ شيءٍ، ويُطلقُ على مُجاوزةِ الحدّ في المكروه مع غلبةٍ وقهرٍ، ومجاوزةِ الحدِّ في الظّلم[2].

الطّغيانُ غايةُ مجاوزةِ الحدِّ بغيرِ حقٍّ، ثمّ يَليه البغْيُ، ثمّ العُتوُّ، ثمّ العُدوانُ والاعْتداءُ، ثمّ الظّلمُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (بغى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (طغى).

والظّلمُ: وضعُ الشّيءِ في غير موضعِه تَعدّيًا، والظّلمُ: تجاوزٌ عنِ المستحقّ بمنعِه وانتقاصِه[1].

والعُتوّ: الاستكبارُ والتّجبّرُ والعصيانُ، ومبالغةٌ في كبرٍ، أو فسادٍ، أو كفرٍ[2].

والاعتداءُ والعُدوان: تجاوزُ ما ينبغي أن يُقتصرَ عليه، وهو الظّلمُ الصّراحُ[3].

لا تُسعفُنا المعاجمُ اللّغويّةُ بفروقٍ واضحةٍ بين هذه الألفاظ، ولكنْ عند إمعانِ النّظرِ في الاستعمالِ القرآنيِّ لها يمكنُ ملاحظةُ بعض الفروقِ الدّلاليّةِ بينَها، وهي:

البغيُ: شدّةُ الطّلبِ لِما ليس بحقٍّ بالتغليب، وهو بذلك يتضمّنُ كلَّ أنواع الظّلم والتّعدّي والكِبر معًا[4].

والطّغيانُ: تجاوزُ الحدّ في المكروه مع غلبةٍ وقهر، والغُلوُّ في ذلك، ويشملُ الإفراطَ في المعصيةِ والكِبْر والكفرِ، فالطّواغيتُ: هم رؤوس الضّلالةِ؛ إذْ أمروا النّاسَ أن يَعبدوهم من دون اللّه، وفي ذلك غايةُ مُجاوزةِ الحدّ، وهو بذلك أشدُّ منَ البغْيِ، وأشدُّ منَ العُتوّ[5].

والظّلمُ: هو المَيْلُ عنِ القصد، والتّعدّي سواءً أكان صغيرًا أم كبيرًا، حيث يتراوحُ الظّلمُ ما بين أكبرِ الكبائرِ وهو الشّركُ باللّه تعالى، وبين ارتكابِ أصغرِ الذّنوب[6].

والعُتوّ: المبالغةُ في المكروه، كالكِبْر أوِ الفسادِ أوِ الكفرِ، لكنّه لا يبلغُ مبلغَ البغيِ والطُّغيان[7].

والاعتداءُ: تجاوزٌ في الشّيء، وتقدّمٌ لما يَنبغي أن يُقتصرَ عليه، والعُدوان: التّعدّي في حدود اللّه والظّلمُ الصُّراحُ، وهو أسوأ الاعتداءِ[8].

إذن: أشدُّها الطّغيان؛ لاشتماله على غاية الإفراطِ في المعصية والكفرِ، ومجاوزةِ الحدّ في المكروه، وفي الظّلم والعُتوّ، ويليه في الشّدّة البغيُ؛ لاشتماله على التّعدّي والفسادِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ظلم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عتو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومجمل اللغة: (دعو).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 232.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.
(6) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 147.
(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.
(8) ابن فارس، مقاييس، ومجمل اللغة: (دعو).

والظّلم، ثم العُتوّ؛ لأنّه مبالغةٌ في المكروه من كبْرٍ أو فسادٍ أو كفرٍ، ثم يليه الاعتداءُ والعدوانُ؛ لأنّه تعدٍّ على حدود الله، وظلْمٌ صُراحٌ، ثمّ يأتي الظّلمُ؛ وهو أدناها، وتتفاوتُ درجاتُه من صغائر الذّنوب إلى كبائرِها وصولًا إلى الشَّركِ بالله تعالى[1].

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 143 - 148.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»